

اللغة الشاعرة

- ٧ -

الفصاحة العلمية

للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث في بضعة سطور ، فمنها التي تفخر بوضوح عباراتها وعدوبة جرسها ، ومنها التي تفخر بوفرة كلماتها واتساع ثروتها من ألفاظ الأسماء والأوصاف والأفعال ، ومنها التي تفخر بترائها الأدبي وذخيرتها الفنية ، ومنها التي يزعم أبنائها أنهم هم الناطقون المبينون ومن عداهم متبررون ، لا يبينون عن أنفسهم ولا يحسنون فهم البيان من الآخرين .

ومعظم هذه المفاخر دعوى لا دليل عليها ، أو دعوى لها أدلتها التي تتشابه وتتقابل ولا ترجح فيها الكفة مرة حتى تقابلها الكفة الأخرى برجحان مثله ، فلا تنهض فيها حجة بينة ولا يزال الناس من شتى الأمم ينظرون إليها نظرتهم إلى العادات الشائعة بين الناس في مناظراتهم ومفاخراتهم ، وحجتها الكبرى «أناية» قومية تشبه «أناية» الفرد في حبه لنفسه وإيثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل ، أو مع القناعة بأيسر دليل .

ولكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها ، لأن دليلها العلم حاضر لا يتعسر العلم به